

تمهيد

غدا الإرهاب سلوكا مهددا للبشرية يتصاعد بمعدل رهيب وهو ظاهرة اجتماعية تشهدها المجتمعات المعاصرة كما شهدتها من قبل المجتمعات الأخرى، كما أنه - الإرهاب - يتسم بعدوانية بشعة تطول الأفراد و الجماعات على حد سواء وآثاره واضحة على فئات واسعة من البشر، بل وعلى المصير البشري برمته.

وسنحاول من خلال هذا الفصل الوقوف بشكل عام على أهم الأسباب التي تدفع الأفراد أو الجماعات إلى ارتكاب تلك الجرائم الإرهابية البشعة.

4. أسباب ظاهرة الإرهاب

1.4. الأسباب السيكولوجية للإرهاب

تلعب الجوانب السيكولوجية و ما يعتريها من تغييرات دورا هاما في اتجاه الفرد نحو الإرهاب و لا سيما عندما تتعرض تلك الجوانب لبعض الإضطرابات التي تأخذ صورة أمراض نفسية أو تقلبات نفسية حادة, و هذه الأعراض قد تعود إلى أسباب وراثية أو ضغوط عصبية مفاجئة نتيجة لمواقف معينة يتعرض لها الفرد.

و يعتقد بعض علماء النفس أن شخصية الإرهابي هي شخصية مضادة للمجتمع, حيث تعاني هذه الشخصية من انعدام الضمير الأخلاقي أو قلة الشعور بالذنب عندما تهدر أو تخرق القانون أو القيم, كما أنها شخصية اندفاعية تعاني من العجز في القدرة على إرجاء الإشباع والعجز عن الاستفادة من أخطائهم السابقة, مع فقدان الروابط العاطفية التي تربطهم بالناس الآخرين مع السعي و البحث عن مواقف الإثارة الجديدة, حيث يشعرون بالملل بسرعة مع وجود القدرة لديهم على إعطائهم انطباع جيد عن أنفسهم أمام الآخرين.

و يعتقد أنصار التفسير السيكولوجي لظاهرة العدوان أن جذور كل مظاهر العنف الملاحظة في الزمن الحاضر, لا يجب أن نبحث عنها في المجال الاقتصادي المادي و لا في ظروف الحياة الاجتماعية و لكن فقط في علم النفس الفردي, و في العالم الداخلي الذاتي للشخصية، و هكذا فإن مشكلة العدوان و العنف في الظروف المعاصرة تبدو لهم لا كمشكلة اجتماعية و لكن كمشكلة سيكولوجية.

و يصرح عالم الاجتماع الإنجليزي " ولسون " أنه إذا كان البؤس و عدم التساوي الاجتماعي في الماضي, الحاضن الرئيس في المجتمع, فقد تغير الوضع الآن جذريا. حيث يرى أن العالم الرأسمالي المعاصر أصبح يتسم بالإفراط في الديمقراطية و الحرية, و بمستوى مرتفع من الرفاهية و كمية كافية من الوقت للتسلية, و هذا يؤدي مع مستوى وعي الأشخاص و مسؤوليتهم الاجتماعية إلى ضياع الاستقرار الداخلي و إلى انفجار العنف و الإرهاب.

لقد دلت بعض الدراسات التي عملت على تحليل سيكولوجية الإرهابي على أنه يعاني من حاجة قوية نحو الارتباط أو الالتصاق بغيره، و تتبع هذه الحاجة من خبرات الحرمان التي عاشها الإرهابي و هو طفل، و لقد وجد أن بعضهم قد فقد أحد الآباء و افتقر إلى الحب و العطف، و لذلك يلجأ إلى الارتباط ببعض الجماعات السياسية بحثاً عن الصداقة و الارتباط و الالتصاق، كما تبين أن الإرهابي يخضع خضوعاً كبيراً للسلطة التي ينتمي إليها، فهو مستعد بشكل قوي لتنفيذ كل الأوامر و التكاليفات مهما كانت خطيرة، فهو يعتبرها مقدسة و يقوم بتطبيقها.

و في الوقت ذاته يفتقد الإرهابي إلى الاعتراف بمشاعر الخوف أو القلق، بينما كان تحليل شخصيته يكشف عن معاناته من الخوف و الرعب عندما يكون بصدد التخطيط لهجوم معين أو عندما يعمد إلى تنفيذه.

حيث يؤكد عدد كبير من الإرهابيين أنهم لا يقهرون أو لا يمكن هزيمتهم، وهم بهذا الشكل ينفون الشعور بالقلق حول ما يحدث لهم و هم يزرعون أو يغرسون المتفجرات و يخططون لخف الطائرات أو يتعرضون لرجال الحراسة بشكل خاص لأن هذه العملية الأخيرة تتطلب أن يكون الإرهابي أو أن يبدو أكثر ثقة بالنفس و عدم الظهور بمظهر الخوف و القلق لأن ذلك من شأنه أن يفشل عملياته، و يبدو أنهم يفقدون الوعي بحالة الرعب و الفرع التي تحتويهم. كذلك دل تحليل هؤلاء على أن لديهم حاجة قوية نحو العنف و العدوان⁽¹⁾.

و يرى " فرويد " أنه لا يمكن عمل الكثير من أجل إيقاف الدوافع العدوانية من النمو على اعتبار أن العدوان هو خاصية ولادية عند الإنسان، و العنف -حسب فرويد دائماً- مثل قتل الغير هو الصيغة الطبيعية التي يتخذها السلوك العدواني ما لم يتم إعاقته من قبل القوى الكافة الضابطة، هذه الأخيرة تنمو خلال تفاعل الطفل مع أسرته.

* كان " سيجموند فرويد -" الذي امتدت حياته من أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين - متأثراً بأفكار " تشارلز دارون "، حيث وضع نظرية عن السلوك الإنساني تذهب إلى أن البشر تقودهم مجموعة من الدوافع أو الغرائز الفطرية شبه الحيوانية في خطاب وجه " فرويد " إلى " أينشتين " من " فيينا " في سبتمبر 1932، نجده يعبر تعبيراً واضحاً عن آرائه حول السلوك العدواني للإنسان سواء ذلك السلوك الذي يوجه فيه الإنسان العدوان نحو الآخرين، أو ذلك السلوك الذي ينتهجه الإنسان لينتهي به إلى تدمير ذاته.

وعلى هذا الأساس فإن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل هادفة إلى تعزيز عوامل الكف و الضبط في مقابل العدوان, يقيم الأمل في تناقص العنف. و يضيف " فرويد " أنه هناك احتمالات بأن الانفعالات المتعلقة بالعدوان, أي المعادة والغضب, قد تؤدي إلى تفرغ طاقة التدمير, و من ثم تعمل على حفظ السلوك الخطر المحتمل قيامه, و يقوم افتراض التفريغ على أساس إتاحة الفرصة للشخص الغاضب لأن يخفف من الضغط القائم داخله, مما يجعله يشعر شعورا أفضل, و يخفف من ميله إلى الاشتراك في صور من السلوك الخطير⁽¹⁾.

و يذهب البعض إلى أن الإرهابي يعمل في نطاق سيكولوجية تتمثل في دلائل مختلفة عن العلامات الدالة عن المرض الذهني التي يمكن تشخيصها بإتباع الوسائل العلاجية النفسية التقليدية. فالإرهابي يتميز بالذكاء و اللياقة, و عادة يكون مثقف من أصحاب الدوافع السامية عندما يتعلق الأمر باشتغاله من أجل القضية, و ما يفعله في المرحلة المبكرة من اجتماعات إرهابية هو عرض وجهات نظر مخالفة للمألوف و ليس مظاهر انغماس في مسالك نفسية مرضية.

و نادرا ما يتجه الشخص للإرهاب من تلقاء نفسه و الأغلب أن جذب الفرد إلى الجماعة الإرهابية يتم على مراحل, فقد يبدأ بدور مساعد صغير على الهامش في العمليات الإرهابية كتوزيع المنشورات ثم يقوم بدور المراسلة في مركز النشاط الإرهابي, و قد تقوم بعض الجماعات الإرهابية بمراسم معينة تلقنه تعليماتها و المطلوب منه أداءها و قد تكون هناك اختيارات لمعرفة مدى استعداده و قدرته على المبادرة و الولاء⁽²⁾.

و قد انتهى " فرويد " إلى افتراض أن غريزة التدمير تعمل لدى كل كائن حي و أنها تجاهد لكي يصل هذا الكائن إلى صورته الأصلية من مادة غير حية, فعملية الأكل هي عبارة على تحطيم للطعام لغرض إدماجه في الجسم, و العملية الجنسية عبارة عن فعل عدواني الغرض منه الحصول على أوثق أنواع الإتحاد, و يصدر عن

(1) عزت سيد إسماعيل, مرجع سابق, ص ص 49 - 50.

(2) أحمد أبو الروس, مرجع سابق, ص 51.

هذا التفاعل بين الغريزتين الأساسيتين في اتلافهما و تعارضهما جميع ظواهر الحياة المختلفة.

و يضيف " فرويد" أنه لطالما كان عمل غريزة الموت قاصرا على الداخل, فهي تظل صامتة و نحن نفطن إليها فقط حينما تتجه إلى الخارج و تصبح غريزة هدم, و تظهر اتجاه هذه الغريزة و هو أمر يستخدم فيه الجهاز العضلي, و يبدو هذا الاتجاه ضروريا لبقاء الفرد, و عندما تبدأ " الأنا الأعلى " في التكوين يثبت قدر كبير من غريزة العدوان داخل " الأنا " حيث يعمل بطريقة تؤدي إلى فناء النفس, و هذا أحد الأخطار التي تهدد الصحة و التي تتعرض لها الإنسانية أثناء تقدمها في طريقة الحضارة, و قمع مشاعر العدوان على العموم مضر للصحة و مسبب للمرض.

و غالبا ما يسبب للشخص الذي يمتلكه الغضب انتقالا من حالة العدوان المكبوت إلى حالة فناء النفس, و ذلك بتوجيه عدوانه إلى نفسه, فتراه يقطع شعره و يطم وجهه و يظل جزء من غريزة إفناء النفس باقيا في الداخل بصفة دائمة حتى ينجح آخر الأمر في إفناء الفرد, فهي تستحق بجد-حسب فرويد- أن نطلق عليها غريزة الموت. بينما تمثل الغرائز الشهوية الجهود الرامية إلى الحياة, و تتحول غريزة الموت إلى غريزة للتدمير إذا ما تم توجيهها نحو موضوعات خارجية, و هكذا يمكن القول بأن الكائن الحي يحافظ على حياته من خلال تدمير كائن آخر⁽¹⁾.

و في هذا الصدد نقول أن الجماعات الإرهابية قد تشعر أنها معرضة للخطر جراء خضوعها للضغوط و من هنا قد تتغمس في الخطر لتحقيق غاياتها, و لكن إذا اتسم دور السلطات بالعنف على هذه الجماعات فإن هذا سيكون عاملا مساعدا على زيادة تماسك الجماعات, و لهذا ينصح علماء النفس بضرورة اتباع استراتيجيات مضادة للإرهاب لا تتسم بالعنف, و تقوم على الدعوة إلى وسائل تقوي الإجراءات الوقائية و جعل الأهداف أكثر صعوبة عند مهاجمتها مما يؤدي إلى شعور الإرهابي بالإحباط, إلا أن إحباطه هذا قد يؤدي إلى حالة ليست أقل خطرا من تلك السابقة.

(1) عزت سيد إسماعيل, مرجع سابق ص ص 41 43.

إذن لقد أوضح " فرويد " أنه يمكن وضع العدوانية في خدمة الحياة و الموت على حد سواء, أما المجتمع فهو الذي يساعد الفرد على ضبط هذه القوة المتميزة تحويلا و تصعيدا, و يكون هذا بتوجيه قسم من القوة ضد العالم الخارجي دون الترددي في السادية التي يقصد بها " فرويد " اكتساب اللذة من خلال إلحاق الأذى بالغير و القسم الآخر ضد نفسه مع تجنبه المازوشية و التي يقصد بها اكتساب اللذة من خلال إيقاع الأذى بالذات. و ما يخشى حدوثه, هو أن يدرك المجتمع وجود تصريفات للعنف و يضاعفها من ذلك مثلا الرياضة و الجنس, على أن يتحاشى بعناية كل ما من شأنه تصعيد العنف ممكنا, خصوصا على صعيد المشاركة في السلطة بجميع مراتبها, وعلى صعيد الاعتراض عليها (1).

أما عالم الاجتماع الأمريكي " وايت" فيرى أنه ليست هناك علاقة بين طابع النظام و السياسة التي تتبعها أوساط اجتماعية معينة وبين مشكلة الحرب و العنف الاجتماعي بوجه عام, فكل الناس الداخلين في اتخاذ قرارات مؤيدة للحرب في العالم المعاصر - الزعماء و أتباعهم - يتخذون القرار بصنع الحرب ليس لأنهم يريدونها حقيقة, بل يقومون بذلك لأسباب نفسية نوعية (2).

إذن وتأسيسا على ما سبق, فإنه يمكن تفسير ما يحدث الآن من عنف بشتى أنواعه - سواء على المستوى المحلي أو المستوى الدولي - من خلال وجهة النظر السابقة, فالفرد في المجتمعات المعاصرة أصبح -فعلا- أقل وعيا و مسؤولية بسبب حالة البذخ التي يعيشوها وهذا ما يفسر العنف لدى الأشخاص الذين يعيشون في رفاهية وكذا ارتفاع نسبة الجرائم في المجتمعات المتقدمة, بالإضافة إلى ذلك فقادة العالم وزعماءه أصبحوا يتميزون بحالة نفسية مرضية تقودهم في غالب الأحيان لإعلان الحروب على الشعوب, ليس لأنهم يدافعون على قضية معينة, وإنما يقومون بذلك لإشباع غريزة ذاتية داخلية تحركهم لآبادة البشر.

وترى " كلاين" أن العدوان إذا بقي على حالته أي داخل الإنسان فإنه يهدده

(1) ميشيل كورناتو, المجتمع والعنف, تأليف مجموعة من الاختصاصيين, ترجمة إلياس زحلاوي, ط1, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق, 1975, ص 81.

(2) محمد توهيل فايز أبو هنطش, علم الاجتماع السياسي, قضايا العنف و الحرب و الإسلام, ط1, دار المستقبل, عمان, 1998, ص ص 79-80.

بالتدمير من الداخل وهذا ما يولد فيه أشد حالات القلق الذي يأخذ شكل الخوف من الفناء، أو الإحساس بالاضطهاد، كما تتحدث " كلاين " عن إسقاط العدوان أي نبذه إلى الخارج، في هذا الإسقاط تتركز العدوانية في موضوع مكروه هو رمز الشر ورمز العدوان، فيما تسميه هي " بالتماهي الاسقاطي"، أي أننا بعد أن نصب كل سوئنا وعدوانيتنا على شخص خارجي يصبح رمز هذه العدوانية وحاملها، ولا ندرك منه إلا جانبه هذا وبذلك نتهرب من عدوانيتنا وسوئنا.

إن هذا الإسقاط الذي تحدثت عنه " كلاين " منتشر جدا في العلاقات بين الناس (خصوصا المهنية و الحزبية) فيما يتعلق بمصادر السوء و الشر و العدوانية، و من بين هذه الإسقاطات نجد " الآخرون هم المخطئون " و في حالة الإسقاط تحول الغريزة العدوانية إلى الخارج، ليتخذ الإنسان فيما بعد من هذا الخارج هدفا لصب عدوانيته المتبقية.

و في اهتمام الآخرين يجد الإنسان راحة مزدوجة، من ناحية، تصريف العدوان بصبه عليهم (الانتقاد)، و من ناحية أخرى، إثبات البراءة الذاتية (نفي تهمة العدوان عن الذات)⁽¹⁾، ذلك ما يحدث في التعصب الديني و الطائفي و السياسي، حيث يعمد المتطرفون إلى إلقاء اللائمة على أفراد المجتمع و اتهامهم بأنهم المتسببون فيما يحدث لهم و ما يتعرضون له من أشكال مختلفة من العنف، خاصة المتطرفون الدينيون الذين يكفرون الناس و يعتقدون أنهم يستحقون ما يحدث لهم و بالتالي يبررون ما يقومون به من أعمال عنف و اعتداء على الآخرين.

و كثيرا ما يتعرض الشخص الذي من الممكن انضمامه إلى الجماعات الإرهابية للاستتكار - على نحو ما - من المجتمع، مما يؤدي به إلى الشعور بالوحشة الأمر الذي يخالف الطبيعة البشرية التي من أهم صفاتها الشعور بالانتماء إلى جماعة، و من ثم فإن الشخص الذي يشعر بالعزلة في المجتمع و يسيطر عليه الشعور بالفشل يكون من السهل انجذابه تلقائيا إلى هذه الجماعات التي لن تكفي بقبوله فحسب بل ستزوده بالوسائل و السبل التي تساعد على الانتقام من المجتمع الذي نبذه⁽²⁾.

(1) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سوسيولوجية الإنسان المقهور، ط5، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2001، ص ص187 - 188.

(2) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص26.

وفي هذا الصدد نقول أن الطبيعة البشرية أو الإنسانية تتحمل كامل المسؤولية فيما يتعلق بوجود العنف في الحياة الاجتماعية، حيث أن الإنسان هو فاقد لشخصيته ومنقسم بين طبيعتين، فمن أجل تحقيق أهدافه وآماله يستخدم الفرد الوسائل العنيفة ومن أجل احلال النظام تستخدم السلطة تدخلات رجال الأمن و العسكر أحيانا ومن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية تلجأ بعض الجماعات إلى الانقلابات الدامية، أو إلى الإرهاب الدموي، وهؤلاء الأفراد لديهم شعور بأنهم فوق القانون وأنهم نصبوا أنفسهم قضاة ويظهر هذا المعتقد في تبرير الجرائم و الممارسات العدوانية البشعة استنادا إلى مبدأ القيام بممارسات عدوانية تجاه الآخرين.

و على هذا الأساس نقول بأن الإنسان المعاصر بقدر ما لديه الرغبة في تحقيق العدالة بقدر ما لديه القدرة على الظلم، و بقدر ما لديه الرغبة في الوصول إلى النظام في المجتمع بقدر ما يملك القدرة على التخريب و خلق حالة من اللاستقرار و التوتر في المجتمع.

و لتأكيد وجهة نظرنا نستعرض رأي عالم الاجتماع الأمريكي " فولن " **Wolin** " حيث يرى أن الإنسان ليس هو الممثل الوحيد لعالم الحيوان الذي يلجأ إلى العنف، إلا أنه الذي ابتكر مجموعة كبيرة منقطعة النظير من مناهج و وسائل العنف و كذلك نظاما بارعا في استخدامها، بهدف السيطرة على الآخرين و ضبط سلوكهم الإجتماعي، كما استطاع الإنسان ابتكار نظام بارع من القيم الدينية و المبادئ السياسية و الخرافات العلمية التي شرعت العنف و بررت استعماله في شتى الوسائل و على مر العصور، و بمساعدة الإيمان و الأفكار المسبقة التقليدية و المعتقدات المنطقية، سائرة ببراعة كل الجوانب المظلمة و الخسارة الناجمة عن استعمال العنف.

و في نفس المقام، كتب عالم الاجتماع " كارل لورنتس " يقول " لقد فقدت البشرية المعاصرة اتزانها نهائيا، لأنها تملك بين يديها القنابل العلمية و التقنية و تكامل التكنيك العسكري و إرادة العدوان و البطش⁽¹⁾.

إذن و حسب وجهة النظر السابقة فإن الإنسان المعاصر هو السبب في خلق العدوان و العنف المنتشرين في العالم المعاصر بشكل رهيب، هذا الإنسان -و على

(1) محمد توهيل فايز أبو هنطش، مرجع سابق، ص 77- 78.

الرغم من تمدينه و محاولة ظهوره في صورة الإنسان المتحضر - لم يستطع التخلي عن طريقة تفكيره المتوحشة و الموروثة التي سببها عدم تغير الطبيعة البشرية.

فلا يزال الإنسان في العصر الحالي يستعمل كل عدوانيته في الحصول على ما يريد و هذا ما كان سائدا في العصور الغابرة، فأين أوجه الاختلاف بين قابيل-مثلا- و بين فرد جزائري يذبح جزائري آخر من أجل تحقيق مصالحه؟، و أين أوجه الاختلاف بين " هولاکو " و بين "جورج بوش الابن " ؟ نقول أنه لا وجود لاختلاف بين هؤلاء و هؤلاء، غير أننا نضيف شيئا آخر، و هو أن الإنسان في العصر الحالي أصبح أكثر قدرة على التفنن في العنف، حيث أصبح يستعمل وسائل تكنولوجية متطورة جدا مستخدما في ذلك تفكيره بشكل سلبي متوحش حتى يصل إلى تحقيق ما يريد.

و إذا كان الإنسان في العصور الغابرة يستخدم العنف كأسلوب للحياة اعتمادا على طبيعته الفطرية، فإن الإنسان المعاصر- و بالإضافة إلى تلك الطبيعة الإنسانية- يكون قد استفاد من كل ما يحدث من تطور في العلم و التكنولوجيا، و إذا كان " هولاکو " قد اعتمد على طبيعته البشرية المتوحشة و السيوف لتدمير " بغداد " فإن " بوش " قد استخدم ما اصطلح على تسميته " بأمة القنابل " - و هي أحدث ما توصل إليه العقل البشري في مجال تدمير الإنسان لأخيه الإنسان- و هذا من أجل تدمير " بغداد " القرن الحادي و العشرين.

لقد أصبح الإنسان العنيف-إذن- أكثر تطورا و تمكنا من إنسان الماضي بل هو في تطور مستمر، و لهذا فإن سؤالا أصبح يلح علينا و هو: كيف ستكون البشرية بعد مئة عام من الآن؟ و كيف سيكون أسلوب تعامل البشر في ذلك الزمن؟ نطرح تساؤلنا هذا بتحفظ ذلك أننا نشك في أن البشرية ستبقى إذا ما واصل الإنسان التفنن في تدمير أخيه الإنسان.

في الأخير، نقول أن الإنسان هو عنيف ليس لأنه يملك صفات حيوانية، بل على العكس من ذلك فهو عنيف لأنه عاقل، و ما يقوم به في عصرنا الحالي إنما هو نشاط عقلي شديد التعقيد.

2.4. الأسباب الاقتصادية والسياسية للإرهاب

1.2.4. الأسباب الداخلية

تدل الشواهد التاريخية على أن الأزمة الاقتصادية أول ما تصيب الطبقات الدنيا التي تعاني كثيرا وبشكل مؤسف من التدهور الفضيع في ظروفها المعيشية بفعل انتشار البطالة وتدهور الخدمات وظهور طبقة من الأثرياء الذين يسلكون سلوكا استفزازيا بالنسبة للفقراء بثرائم الفاحش وإسرافهم اللامتناهي، وهذا ما يمكن أن نسميه بالتطرف في الفقر، هذا الأخير يقود إلى التطرف في الفكر نتيجة الاحباط الذي تعانيه هذه الفئة من المجتمع.

كما تدل الدراسات السوسولوجية التي أجريت على أعضاء الجماعات المتطرفة الإرهابية على أن الغالبية العظمى منهم هي من الشباب ومن الطبقات الدنيا و المتوسطة ، ومن المناطق الأكثر حرمانا مثل الريف و الأحياء الشعبية الفقيرة الذين يعانون من البطالة أو انخفاض الدخل، و العجز عن توفير متطلبات الحياة الضرورية وكذلك عن العجز في إيجاد حلول لمشكلاتهم ورفضهم الانغماس في أنشطة مضادة لقيمهم الدينية كالفساد والرشوة والإدمان⁽¹⁾.

وإذا كان " فرويد" قد انشغل بموضوع غريزة الموت على حساب دور " الاحباط" في اتجاه الفرد نحو السلوك العدواني، فإن " جون دولارد" صاغ المبدأ العام الخاص بالإحباط و العدوان من تلك الكتابات الأولى " لفرويد"، وقد قام "دولارد" بتطبيق نظريته على أحد مجتمعات الولايات المتحدة الأمريكية، ثم قام بتحليل استجابة طبقة الملونين للإحباط الذي تفرضه جماعة البيض، وبهذا تمكن من الكشف عن التأثيرات النفسية للتركيب الاجتماعي على تنظيم الشخصية و السلوك⁽²⁾.

ويسمى علماء النفس حالة الشخص الذي استغرق في سلوك مقصود به التحرك نحو هدف أو غاية ووقف أمامه عائق في الطريق بـ "الاحباط" ، فقد يكون العائق أو المعترض شيئا ماديا كازدحام حركة المرور التي تتسبب في تأخير الفرد عن الذهاب

(1) أحمد أبو الروس، الإرهاب و التطرف و العنف في الدول العربية، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001، ص 18-19.

(2) عزت سيد إسماعيل، مرجع سابق، ص 54.

إلى المدرسة أو العمل، أو إذا كان الشخص يسعى للحصول على وظيفة مرموقة وأخذت منه، فالناس إذن يواجهون احباطات كل يوم ومن كل نوع⁽¹⁾.

ووفقا لنظرية "دولارد وزملائه" من "جامعة ييل" Yale University فإن العدوان هو نتاج الاحباط، كما أن حدوث السلوك العدواني يفترض دائما وجود حالة من الإحباط، وأن قيام الاحباط يؤدي دائما إلى صورة أو أخرى من صور العدوان، ويعتقد هؤلاء العلماء أن الفرد بإمكانه أن يتقبل الموقف المحبط ويتكيف معه، وهنا - حسب رأيهم دائما - يظهر دور التنشئة الاجتماعية التي تكبح جماع استجابته العدوانية الواضحة.

غير أن ذلك لا يعني أن الميول الاستجابية قد زالت واختفت تماما، فعلى الرغم من أن هذه الاستجابات قد تم كبح جماحها أو تأخير حدوثها أو تخفيفها أو إزاحتها فإنه لا يتم إلغاؤها، كما يرى "دولارد وزملاؤه" أن السلوك العدواني قد يأخذ صورا عدة، حيث يتم توجيه العدوان في بعض الأحيان نحو العامل المسبب للإحباط إنما في أحيان أخرى يتم توجيه العدوان نحو أبرياء وهذا ما يظهر بشكل واضح في العنف الإرهابي حيث يوجه الإرهابيون سلوكياتهم العنيفة نحو أفراد أو جماعات من المجتمع لا تكون لها أي علاقة بما يحدث، وإنما يوجه هؤلاء الإرهابيون عدوانهم نحوهم (الأبرياء) للضغط على الجهات التي تسببت في إحباطهم، كما أن بعض صور العدوان قد تكون قوية واضحة غير متخفية، وأخرى ضعيفة أو متخفية⁽²⁾.

لقد انصرفت إذن جهود الباحثين إلى وصف الشروط التي في ظلها يؤدي الاحباط إلى العدوان وقد توصلوا إلى عدد منها من قبيل أن تكون مثيرات الاحباط أهدافا مقبولة للعدوان كالأعداء مثلا أو أبناء الأقليات في مجتمع عنصري حيث في الغالب يكونون عرضة للعدوان من طرف المجموعات العنصرية، أو حين يعتقد الفرد بأنه لن يتعرض للعقاب، أو يكون العائق الذي أثار الاحباط منخفض المكانة، أو شعور الفرد بأن الاحباط نتج عن سلوك غير مشروع و متعسف قام به العائق أو مثير الاحباط، فعلى سبيل المثال الطفل الذي يحرمه أبواه من المصروف حين يتقاعس عن

(1) خليل ميخائيل معوض، علم النفس الاجتماعي، ط2، دار الفكر الجامعي، الأزاريطة، الإسكندرية، 1999، ص 371.

(2) عزت سيد إسماعيل، مرجع سابق، ص 55.

إكمال الواجب المدرسي لن يتساوى إحباطه مع طفل حرم من مصروفه على الرغم من قيامه بأداء ذلك الواجب (1).

كما أن الشخص الذي تم إحباطه لا يشترك بالضرورة دائما في اعتداءات بدنية أو لفظية ضد الآخرين، حيث يمكن أن تكون استجاباته مختلفة تتفاوت من الاستسلام واليأس إلى محاولات ايجابية للتغلب على العقبات القائمة في طريقه، وعليه فإن "دولارد وزملاؤه" كانوا أكثر تفاؤلا بالنسبة لدور التفريغ عما كان يراه " فرويد" فكل صور العدوان بما فيها تلك غير الصريحة، غير المباشرة، غير الضارة، تخدم عملية التفريغ وتعمل على خفض الحفز لعدوان تالي.

وعليه فإنه ليس حتميا أن يعمل شخص محبط على إيذاء شخص آخر بهدف خفض أو التخلص من الدافع العدواني فالتخيلات العدوانية التي تعني أن يتصور و يتخيل المرء قيامه بأفعال عدوانية دون أن تأخذ حيز التنفيذ الفعلي، أو التهديد بقبضة اليد، أو التعبير اللفظي عن الضيق، أو غير ذلك من استجابات مماثلة يمكن أن يكون لها تأثيرها في خفض الحفز للعدوان (2).

« ويلخص "دولارد وزملاؤه" الموقف بالقول بأن أقصى استثارة للعدوان يحدثها الاحباط تكون بالنسبة للسلوك العدواني الموجه نحو العامل الذي يتم ادراكه باعتباره مصدر الاحباط، وبتزايد ضعف الاستثارة العدوانية بتزايد اتجاه العدوان نحو موضوع غير مباشر أي لا يرتبط أو يتعلق بمصدر الاحباط بشكل مباشر» (3).

كما يعتبر كف السلوك العدائي في المواقف الإحباطية بمثابة إحباط آخر وذلك يؤدي إلى ازدياد ميل الفرد للسلوك العدائي ضد مصدر الاحباط الأساسي، وكذلك ضد عوامل الكف التي تحول دونه والسلوك العدائي (4).

إن الحرمان الاجتماعي الذي يعني عدم مقدرة المجتمع على استيعاب بعض الفئات استيعابا كاملا يؤدي إلى نوع من العزلة المفروضة من المجتمع على فئات معينة هي تلك التي تتوقع في أماكن محددة و تشعر بالاغتراب وبعدها يحدث كل هذا،

(1) زين العابدين درويش، علم النفس الاجتماعي: أسسه وتطبيقاته، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 337.

(2) عزت سيد إسماعيل، مرجع سابق، ص 58.

(3) المرجع نفسه، ص 59.

(4) عصام عبد اللطيف العقاد، سيكولوجية العدوان و ترويضها، ط1، دار غريب، مصر، 2001، ص 114.

وبعدما يعي أفراد تلك الفئات أوضاعهم المتردية، يلجأ بعض هذه الفئات إلى تشكيل مجموعات إرهابية أو الانضمام لما هو قائم منها سعياً نحو تغيير تلك الأوضاع المتردية و التخلص منها⁽¹⁾.

ويحدث الإرهاب نتيجة حالة الاحباط التي تصيب بعض الأفراد في المجتمع و الناتجة عن التفاوت الحاصل بين فئات هذا المجتمع، حيث توجد فئة تسعى إلى إقامة المساواة بين أفراد المجتمع وفئة أخرى تسعى إلى الاحتفاظ بالامتيازات و المكاسب التي تتمتع بها، وهنا لا بد أن تصطدم إرادة المساواة بإرادة دعاة التفاوت، فتلجأ الفئات التي تشعر بالحرمان إلى الأسلوب الإرهابي العنيف محاولة منها للحصول على حقوقها التي سلبت منها.

وهكذا يقوم التضامن بين الفئات التي تجمعها وحدة المصير و الهدف و تتحد فيما بينها لمواجهة الفئات المميزة و القوية و التي تراها مجسدة في النظام، فسوء استعمال موارد الدولة وخيراتها و التوزيع غير العادل لأموال الدولة على الفئات الشعبية كل ذلك يدفع إلى العنف الإرهابي⁽²⁾.

وتؤدي الأزمة الاقتصادية إلى ازدياد معدل البطالة و التضخم و غلاء الأسعار وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي خاصة مع ظهور الطبقة الطفيلية التي أثريت ثراء فاحشاً، وسريعاً دون جهد أو إسهام في الإنتاج الوطني للدولة، وبهذا تنعكس آثار هذا الخلل الخطير على الشباب و تنشأ تربة صالحة للتطرف تزود الجماعات المتطرفة بأعضاء يعانون من الاحباط وافتقاد الشعور بالأمان والأمل في المستقبل فيقعون بسهولة فريسة الانقياد لأوهام الخلاص⁽³⁾.

يمثل الفقر إذن و الحاجة المادية الملحة و عدم المساواة في توزيع الموارد و الثروة وانتشار الوعي بهذه السلبيات و بالفوارق الشاسعة الحاصلة في المجتمع، دافعا قويا نحو ممارسة الإرهاب و توسيع القائم منه بهدف التخلص من تلك الأوضاع⁽⁴⁾، فالإحباط الذي يشعر به هؤلاء الفقراء الذين أفرزتهم الأزمة الاقتصادية و التي انعكست —

(1) عبد الناصر حريز، مرجع سابق، ص 63.

(2) أحمد أبو الروس، الإرهاب والتطرف و العنف في الدول العربية، ص 19.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) عبد الناصر حريز، مرجع سابق، ص 63.

بدورها على الواقع الاجتماعي للأفراد الفقراء، يرى العديد من الباحثين أنه الدافع إلى هذا السلوك الإرهابي، وأن شعور المستضعفين من أفراد المجتمع بالحرمان هو الذي يدفعهم إلى هذا السلوك.

وفي هذا الصدد نعود لنذكر بفكرة " سعد الدين إبراهيم" التي سبق وأن أدرجناها ضمن إشكالية البحث، حيث يعتقد أنه ليس الفقر هو الذي يقود الفرد إلى الانضمام إلى الجماعات الإرهابية، وإنما ما يقودهم إلى القيام بتلك الأعمال العنيفة هو ذلك الشعور الذي ينتابهم كفقراء، هذا الشعور هو حالة الحرمان التي يعيشونها و التي يكون وعيهم بها نتيجة للمقارنة بينهم وبين أفراد المجتمع الميسورين فهنا يشعرون أنهم محرمون من موارد وطنهم ويحسون بانعدام العدالة التي توزع بها هذه الموارد وبالتالي يعيشون حالة من الاحباط تجعلهم مهئين للانضمام إلى أي جماعة بإمكانها أن تسترد لهم حقوقهم، فيتحدون بهذا تحت شعارات موحدة تجعل مصيرهم واحدا.

2.2.4. الأسباب الخارجية

لقد أدت الأوضاع الاستعمارية التي سادت في العصر الاستعماري إلى وجود هوة واسعة و سحيقة بين دول العالم من حيث المستوى الاقتصادي و الذي انعكس بدوره على المستوى الاجتماعي لشعوب العالم، و هكذا انقسم العالم إلى دول غنية و دول فقيرة، و يظهر ذلك بشكل واضح من خلال إشارتنا إلى أن الدول الصناعية، و هي تمثل أقل من ربع سكان العالم، تحصل على أكثر من ثلاثة أرباع الثروة العالمية، في حين أن الدول النامية، و يمثل سكانها أكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم، تحصل على أقل من ربع هذه الثروة⁽¹⁾.

و قد امتدت فترة التوسع الاستعماري الرئيسية بين 1850 - 1900، و كانت هناك مستعمرات شكلية أوجدها الاسبان و البرتغاليون في أمريكا اللاتينية منذ القرن السادس عشر غير أنها كانت تدار بالأساس باعتبارها أملاكاً قطاعية للمستوطنين الاسبان و قد منح الاستقلال لمعظمها حوالي سنة 1830.

أما الاستعمار في القرن التاسع عشر فكان يعتبر وسيلة سياسية مفيدة للغرب في

(1) مصطفى مصباح دبارة، مرجع سابق، ص 66 - 67.

سيطرته على بلدان ما وراء البحار من أجل تنمية أوسع للرأسمالية الصناعية في الغرب، وكانت سياسة فرنسا الحمائية إحدى الحوافز المهمة لما أصبح بعد ذلك سباقا حقيقيا من أجل الحصول على المستعمرات من خمسينيات القرن التاسع عشر، حيث كانت هذه السياسة تحاول حماية أسواقها و سبيلها إلى موارد ما وراء البحار، مما أوجع المنافسة الأوروبية للسيطرة على هذه المستعمرات بما فيها من سكان، و أراضي، و مواد أولية⁽¹⁾.

و هكذا تكون الأوضاع الاستعمارية المستبدة قد أحدثت انقسامًا بين دول العالم إلى غني يتحكم في مصادر الثروة، و فقير يرزح تحت نير الاستغلال و العبودية و يعاني قسوة الحياة و يفتقر إلى لقمة العيش، بل و يفتقد إلى أبسط الحقوق و هو الحق في الحياة، لقد أوشكت الدول الفقيرة أن تصبح معسكرات شاسعة للموت⁽²⁾، إذن قامت الدولة الغنية الاستعمارية بسلب و نهب موارد الدول المستعمرة مما جعل هذه الأخيرة - و حتى بعد نيلها الاستقلال - تعجز على إيجاد سياسة تنموية ملائمة من شأنها أن تحقق مطالب شعوبها.

و هكذا أفرز مثل هذا الوضع أفرادًا محبطين لا أمل لهم في تغيير الأوضاع لصالحهم مما دفعهم لمحاولة التغيير بأنفسهم و بأسلوب عنيف كان موجهًا نحو الأنظمة الداخلية لدولهم لشعورهم بأنها ظالمة و لم تحقق لهم طموحاتهم من جهة، و من جهة أخرى كان موجهًا نحو رموز النظام العالمي على اعتبار أنه من خلق هذا الوضع السيء الذي تعيشه الدول المستضعفة.

لا يخفى إذن على أحد أن الفقر و الجوع و الشقاء و خيبة الأمل و اليأس الناجم عن الفوارق الاقتصادية الشاسعة بين الشعوب نتيجة لجور النظام الاقتصادي الدولي القائم و الإحباط في الأخير، هو ما يدفع الشعوب الفقيرة إلى التوصل بوسائل القوة و العنف لضرب مصالح مستغليها و ناهبي خيراتها.

و قد جاء في تقرير اللجنة المتخصصة في موضوع الإرهاب الدولي، و التابع للجمعية العامة للأمم المتحدة أن من أهم العوامل الاقتصادية التي تقف وراء ظاهرة

(1) أندروبيستر، مدخل لسوسيولوجية التنمية، ترجمة: حمدي حميد يوسف، ط1، بغداد، 1986، ص101.

(2) مصطفى مصباح دبارة، مرجع سابق ص67.

الإرهاب الدولي هو استمرار نظام دولي جائر و غير منصف, و ما ينجم عنه من ظواهر الاستغلال الأجنبي لموارد البلد الطبيعية, و قيام دولة أجنبية بالتدمير المنظم لاقتصاديات دولة أخرى, و ما يؤدي إليه ذلك من فقر و جوع و شقاء و خيبة أمل و إحباط, الأمر الذي يدفع الشعوب الفقيرة المستضعفة إلى القيام بأعمال عنيفة للتعبير عن مشاعر أليمة ناجمة عن هذا الوضع القاسي الجائر⁽¹⁾.

إن ما يحدث اليوم للشعب العراقي هو تجسيد حقيقي لصورة الشعب المحبط الفاقد للأمل والذي جار عليه نظام العولمة الذي أصبح يمثل النظام الدولي, و إذا كانت الولايات المتحدة قد أوصلت الشعب العراقي إلى مثل هذه الوضعية المزرية بدعوى مكافحة الإرهاب, فإنها تكون قد فتحت على نفسها أبوابا كثيرة, حيث ستواجه حملة شرسة تقودها جماعة ناقمة على سياسة الهيمنة التي تتبعها, و سيكون الإرهاب المضاد من طرف هذه الجماعات هو السبيل الوحيد للرد على الإرهاب الأمريكي.

و هكذا تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد أسست لسياسة دولية جديدة تحكم العلاقات الدولية لن تكون سوى " سياسة الإرهاب ", و هذا على اعتبار أن الهيئة المنظمة للعلاقات الدولية قد فقدت شرعيتها بالإضافة إلى غياب القانون الدولي الذي كان يسير المنظومة الدولية يمكننا القول إذن أن الإرهاب سيرسي قواعده على حالة الإحباط الشديدة التي أصابت ليس الشعب العراقي فحسب و إنما جميع الشعوب المستضعفة التي أصبحت تشعر فعلا بالظلم.

وإذا عدنا إلى الوراء قليلا فإننا نجد أن دعوات عديدة ظهرت من أجل إعادة النظر في النظام الاقتصادي الدولي الذي يكرس الظاهرة الاستعمارية بشكل جديد, فإذا كان الاستعمار بصورته التقليدية قد تقلص, إلا أن ما اختفى منه عاد ليظهر, وبشكل أشد في صورة جديدة تفرض فيها الدول الغنية (الاستعمارية) هيمنتها على الدول الفقيرة عن طريق ما يسمى بالشركات المتعددة الجنسية, والاستثمارات الأجنبية وقد أثرت قضية ضرورة إعادة النظر في النظام الدولي في الدورة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة التي عقدت عام 1974, وتمت فيها الموافقة على الإعلان الخاص باستحداث نظام اقتصادي دولي جديد.

(1) المرجع نفسه، ص66.

وفي هذا الإعلان عازمت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على العمل بسرعة لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد يقوم على أساس العدالة و المساواة في السيادة والتكافل، والمصلحة المشتركة، و التعاون بين الدول ويقضي على التفاوت الصارخ بإصلاح أوجه الظلم القائمة، وتجعل من الممكن القضاء على الفجوة الآخذة في الاتساع بين الدول المتقدمة والدول النامية ويكفل التطور الاقتصادي والاجتماعي المتنامي تدريجيا في سلام وعدالة للأجيال الحاضرة و المستقبلية (1).

لكن ألم تعد فكرة الاستعمار الجديد المتمثلة في الشركات المتعددة الجنسية والاستثمارات الأجنبية فكرة قديمة مع بداية القرن الواحد و العشرين؟ ألم تعد الدعوة إلى ضرورة تغيير النظام الدولي التي كان قد دعا إليها الرئيس الجزائري الراحل " هواري بومدين" سنة 1974 دعوة قديمة هي أيضا؟.

يمكننا القول في هذا الصدد أن كل المعطيات قد تغيرت مع مطلع هذا القرن، لأن الاستعمار الجديد لم يعد ذلك الاستعمار الذي شرحناه من قبل، لقد أعطت العولمة للاستعمار مفهوما جديدا وصاغته صياغة حديثة جدا و بعيدة كل البعد عن تلك التي كانت سائدة في القرن الماضي، إن الاستعمار الجديد الذي أصبح يهدد الدول المستضعفة في العالم هو ما اصطلحت الولايات المتحدة الأمريكية على تسميته بـ " مكافحة الإرهاب"، وستقوم باستعمار غالبية الدول التي من شأنها أن تخدم مصالحها، أو أيضا تهدد مصالحها لكن بأسلوب استعماري حديث سيسجله التاريخ كأول ابتكار يشهده هذا القرن، على الرغم من الرؤى الاستعمارية التقليدية التي يحملها هذا الاستعمار الحديث.

في هذا الصدد يمكننا القول أن البلدان الفقيرة المستضعفة التي استغلتها البلدان الغنية، بل نهبتها، والتي تخنقها آلية التجارة والاقتصاد الدولي والمؤسسات الاقتصادية الدولية وعلى رأسها صندوق النقد الدولي، والبنك العالمي، تقف اليوم في مواجهة تيار عنيف تقوده الولايات المتحدة الأمريكية يسمى "العولمة"، فهي محكوم عليها في الوقت الراهن إما بالموت جوعا والاستسلام للأمر الواقع وبالتالي الرضوخ لكل ما تمليه عليها الدولة الأولى في العالم، ولما الرد بالطريقة الوحيدة المتاحة لها وهي العنف

(1) المرجع نفسه، ص ص 67-68.

وبالتالي يحدث ما يسمى بمبدأ المعاملة بالمثل.

4.3. الإرهاب ووسائل الإعلام

لقد ثبت أن رؤية الطفل لموقف بطولي عنيف في التلفزيون لمدة قصيرة يؤثر على سلوكه العدواني لعدة شهور مما يعزز دور الجهاز الإعلامي في التأثير على السلوك الإنساني و ضرورة الرقابة النفسية و التربوية عليه⁽¹⁾، حيث تؤكد أن تعلم الفرد للسلوك العنيف وهو طفل وفيما بعد وهو بالغ يتحقق و يكتمل بالملاحظة.

و إذا كان تهذيب سلوك الطفل على يد أبويه عمل خاص فإن شيئا آخر يحدث يوميا في البيت من الممكن جدا أن يؤثر بشكل كبير و واضح على مستويات العدوان و العنف و هو كما سبق ذكره " الشاشة الصغيرة"، فالأطفال يميلون للتجمع أمام شاشة التلفزيون لمشاهدة البرامج التي تدور حول مشاهد البطولة و القوة و الاعتداء و اختراق الجدران و أسقف المنازل، و يركز الأطفال انتباههم على أحداث الشاشة الصغيرة أكثر من تركيزهم على شرح المعلم في المدرسة، كما أن برامج التلفزيون العنيفة لا تقتصر على تلك المخصصة للأطفال فحسب بل تتعداها إلى برامج الشباب التي تتمثل في أفلام الجريمة و العنف و القتل و الاحتيال و الابتزاز و النصب و تجارة المخدرات⁽²⁾.

و في هذا الصدد نعتقد أنه ليس البرامج و الأفلام العنيفة هي وحدها التي تجعل الفرد يكتسب السلوك العنيف، بل نجد أيضا أن الفرد قد يتجه نحو السلوك العنيف من خلال تلك البرامج و حتى الأفلام التعبوية التي تقدم أيديولوجيا معينة، حيث ومع الانفتاح الإعلامي الكبير الذي شهده القرن العشرين أصبحت هناك إمكانيات لمرور أشخاص معينين - بأفكارهم المتطرفة - عبر القنوات الفضائية و من خلال ذلك يروجون لأفكار خطيرة و متطرفة من شأنها أن تجند عددا كبيرا من الأفراد لصالح هؤلاء المتطرفين فكريا، و بالتالي نقول أن الأجهزة الإعلامية و على رأسها التلفزيون أصبحت من أهم الأساليب المستخدمة لترويج الأفكار المتطرفة و الإرهابية.

(1) محمد محمد عيسى الفيوي، سيكولوجية العنف والعدوان ودوافعهما، مجلة الخفجي، شركة الزيد العربية المحدودة، أكتوبر 1991، ص 53

(2) خليل ميخائيل معوض، مرجع سابق، ص 377.

إن دراسات " باندورا " " Bundura " بجامعة " ستانفورد " و بعض برامج الأبحاث الأخرى تؤكد مخاطر مشاهدة النماذج العدوانية على شاشة التلفزيون، فالأطفال الذين

يشاهدون المناظر العنيفة يتصرفون بعنف أشد، و من أشهر الدراسات في هذا المجال دراسة طويلة الأمد قام بها " إيرون و آخرون " Eron " عام 1980 بجامعة " أليفوي " " بشيكاغو ". إذ بدأوا هذه الدراسة عام 1960 على أطفال الفصل الثالث في مدينة صغيرة بوادي نهر " هيدسون " بولاية " نيويورك " و قد بلغ عدد الأطفال 875 طفلا (ذكورا و إناثا).

لقد قام " إيرون وزملاؤه " بفحص عدد كبير من الخصائص السلوكية و الشخصية للأطفال, كما قاموا بجمع بيانات عن آبائهم و عن البيئة المنزلية التي جاؤوا منها، و قد تبين أن الأطفال الذين فضلوا برامج العنف التلفزيونية في سن الثامنة كانوا ضمن مجموعة الأطفال الأكثر عنفا في المدرسة.

و بعد حوالي عشر سنوات استطاع الباحثون الالتقاء بمجموعة من العينة الأصلية و عددهم 427 طفلا لمعرفة العلاقة بين ظروف التعلم و سلوك الأطفال و هم في سن الثامنة عشر, فأسفرت النتائج على أن الأطفال الذين اعتبروا عدوانيين و هم في سن الثامنة أصبحوا عدوانيين و هم في سن الثامنة عشر مما يدل على ثبات السلوك العدواني.

يضاف إلى ما سبق أن الأطفال الذين اعتبروا عدوانيين في سن الثامنة كان لهم سوابق جنائية بحوالي ثلاثة أضعاف الأطفال الذين اعتبروا مسالمين. و قد أسهم في السلوك العدواني عند هؤلاء الأطفال عوامل عديدة من بينها برامج التلفزيون العنيفة التي كانوا يفضلون مشاهدتها و هم في سن الثامنة.

كما أكد " إيرون و زملاؤه " في دراسة لاحقة تتبعية للدراسة السابقة على عدد 400 من بين الذين أجرى عليهم البحث السابق, و الذين أصبحوا في سن الثلاثين تقريبا, استمرار سلوكهم العدواني و مخالفة القوانين، بل أصبحوا أكثر قسوة مع زوجاتهم و أطفالهم، حيث و بعد انقضاء هذه الفترة الزمنية الطويلة ظهر الارتباط بين برامج التلفزيون التي تتسم بالعنف و التي تلقاها هؤلاء الأطفال في سن الثامنة

و بين السلوك العدواني في سن الثلاثين⁽¹⁾.

إن العصر الراهن يفرض علينا - بما لا يدع مجالاً للشك - عدم إهمال الدور غير العادي الذي أصبح النظام الإعلامي يؤديه في عملية تعلم السلوكات العنيفة، بما فيها العنف الإرهابي المتفشي بشكل لافت في الآونة الأخيرة، حيث أصبح الإعلام الأمريكي يروج لمفاهيم جديدة للإرهاب، إذ أعطى صفة الضحية للإرهابي بينما ألصق صفة الإرهابي بالضحية.

وفي هذا المقام يفرض علينا المثال الفلسطيني نفسه على اعتبار أن الشعب الفلسطيني من أكثر المتضررين من هذا النظام حيث نشرت وسائل الإعلام الأمريكية معايير جديدة مغلوطة للإرهاب وأصبح الفلسطيني في أي مكان من العالم مثالا للإرهابي بعدما كان مناضلا من أجل الاستقلال و الحرية.

وما يعاني منه الشعب الفلسطيني هو ذاته الذي يعاني منه كل عربي ومسلم في العالم، وطبعا كان هذا نتيجة لمساواة الإسلام بالإرهاب التي روج لها الإعلام الأمريكي خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية.

كما تتأكد خطورة الإعلام في تلك الأفلام الأمريكية -بشكل خاص - المروجة لقيم وسلوكات عنيفة (أفلام الكابوي-مثلا-) والتي تعتبر من مميزات المجتمع الأمريكي الذي يعاني بشكل خطير من انتشار الجريمة والعنف. والمنتبع - بنظرة ناقدة- لهذه الأفلام المنتجة خاصة في الفترة الأخيرة سيصل إلى نتيجة هامة، وهي أن

كل هذا من شأنه أن ينشر ثقافة العنف في مجتمعات العالم، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر ماهي إلا تجسيد واقعي لسيناريو الفيلم الأمريكي الشهير " أمريكا في اليوم التالي". كما أن هذه الأفلام تقدم كل الأساليب المعقولة وغير المعقولة لاستخدام العنف كأسلوب للحياة ووسيلة للتعامل بين البشر، ويمكننا القول بأن العنف في الثقافة الأمريكية أصبح وسيلة وغاية في الوقت نفسه، ذلك أن الفرد الأمريكي أصبح يستخدم العنف كوسيلة لتأكيد أنه الأعنف والأقوى (وهنا مفهوم القوة يتساوى ومفهوم العنف).

(1) المرجع نفسه، ص ص 378-379.

غير أن الأخطر من كل ما سبق ذكره أن هذه المادة الإعلامية أصبح الفرد في مختلف أنحاء العالم يتلقاها دون قيود وهذا مع انتشار محطات البث الفضائي التي غزت العالم،

فلم تعد هناك حدود فاصلة بين الدول، وساد العالم انفتاحا إعلاميا رهيبا، وهنا طرح التساؤل الملح، ماهي الاستراتيجية التي سنتبناها بقية العالم (على حد تعبير فوكوياما) للحفاظ على خصوصياتها الثقافية؟.

إن التكنولوجيا المتطورة جدا والتي عرفتها السنوات الأخيرة من القرن العشرين و السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين تكون قد مهدت لاكتساب البشرية نمطا ثقافيا موحدا لن يكون سوى النمط الثقافي الأمريكي المتميز بالعنف، حيث يضاف إلى وسائل الإعلام التي ظهرت في السابق، وسيلة أخرى حديثة أصبحت من أكثر الوسائل تأثيرا في العصر الحديث إن لم تكن الأولى على الإطلاق وهي " الانترنت"، والتي أصبحت تلعب دورا بارزا في نقل الثقافة العنيفة إلى كل بقعة تصلها في هذا العالم.

4.4. الأسباب الطبيعية والبيئية للإرهاب

إن الظروف الطبيعية مثل ارتفاع درجة الحرارة و الازدحام، والضوضاء، تجعل الفرد مهيبا للاستجابة العدوانية من خلال تأثيرها سلبا على بعض وظائفه الحيوية (السمع، نبض القلب مثلا)، هذا فضلا عن اثارها الشعور بالانزعاج لديه، وخاصة حين تكون غير منتظمة وغير متوقعة، كما أن درجات الحرارة المرتفعة بوجه خاص هي من أكثر الظروف المناخية ارتباطا بالعدوان، إلا أن العلاقة بينهما غير مباشرة، بمعنى أنها تسهم في إيجاد بيئة مهينة للعدوان من خلال ما ينتج عنها من تغيرات فسيولوجية (فقد نسبة من الأملاح نتيجة للعرق) تعمل على زيادة درجة الاستثارة في الجهاز العصبي، وهذه الأخيرة تجعل الانخراط في العدوان أكثر احتمالا.

وتشير نتائج العديد من الدراسات إلى وجود ارتباط إيجابي مرتفع بين درجة الحرارة ومعدل ارتكاب جرائم معينة مثل القتل والاغتصاب، وتشير أيضا إلى أن الكثير من الاضطرابات العامة تكون قد حدثت في ظل درجات حرارة مرتفعة، نظرا لسهولة تواجد الناس في الشوارع لفترات طويلة من الوقت في مثل تلك الأحوال المناخية.

هذا وقد بينت الكثير من البحوث و الدراسات أن معدل حدوث العدوان يرتفع في الأماكن المزدحمة، وقد يعزى هذا إلى أنه في ظل التكديس الشديد للأفراد في مكان ما يصعب إشباع الكثير من الحاجات الأساسية مثل الحاجة للهدوء، والاسترخاء، و الخصوصية، ومن ثم يصبح الفرد أكثر توترا، ونظرا إلى أن الازدحام ينطوي ضمنا على

ارتفاع معدل التفاعل المكثف بين الأفراد المتوترين فإن احتمال صدور الاستجابات العدوانية يصبح أكثر احتمالا، بالإضافة إلى ذلك فإن التكديس يعني بشكل ضمني أن ثمة فرصا أكبر لتعلم العنف بالإقتداء من خلال مشاهدة النماذج المحيطة التي تسلك على نحو عدواني و الموجودة بوفرة كاستجابة متوقعة في ظل الضغوط المتنوعة التي يواجهها البشر⁽¹⁾.

كما أن عامل التلوث البيئي لا يقل دوره عن تلك العوامل على الرغم من أنه يبدو وللوهلة الأولى أن ذلك أمرا مستبعدا، فارتفاع معدلات التلوث البيئي بصورها المتعددة كتلوث المياه و المجاري المائية، والهواء، والتربة و الأغذية، كل هذا يؤثر بشكل سلبي على كل من الجهاز العصبي و البناء النفسي للفرد.

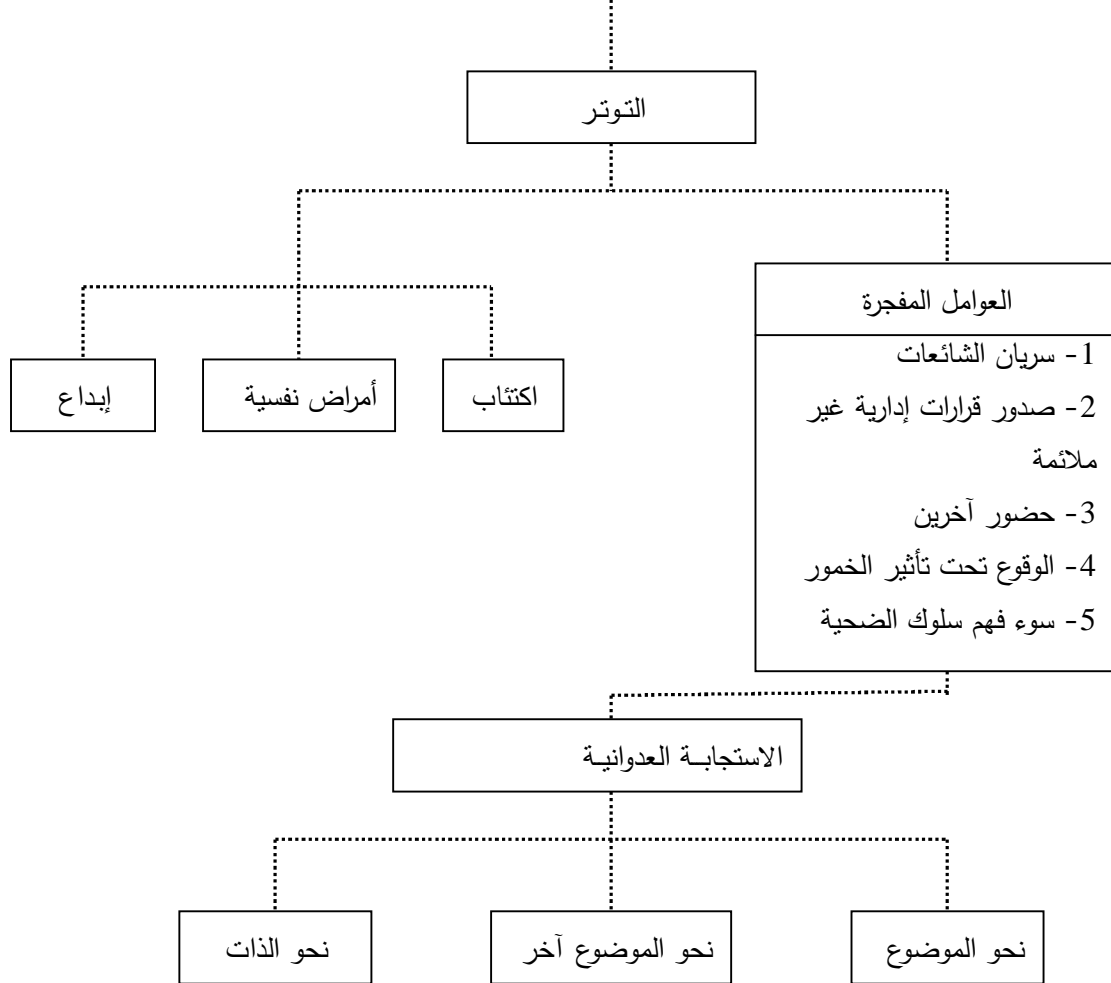
ويعتبر تهاون أجهزة الدولة في تأدية واجباتها تجاه المقيمين بأحياء تعاني من بعض أنواع التلوث السابقة أو من كلها إلى شعورهم بأنهم متجاهلون من قبل الدولة ومهمشون، ويتحول هذا الشعور بالتدريج إلى حالة من السخط، وبشكل خاص حين يقارنون بين مستوى الخدمات المتدني الذي يقدم لهم وما يقدم للقاطنين في الأحياء الراقية الأقل تلوثا.

إن كل ذلك يجعل هؤلاء يعيشون حالة من التذمر، هذه الأخيرة تستثير لديهم الميل إلى ارتكاب بعض الأفعال العنيفة لتحقيق هدف مزدوج. أما وجهه الأول فينطوي على التعبير عن موقفهم، وأما وجهه الثاني فيفصح عن الرغبة في جذب انتباه أجهزة الدولة إلى معاناتهم، وفي هذه الحالة هم يشبهون بالطفل الذي يحطم بعض الأدوات المنزلية ليلفت نظر أمه إليه حيث يعتقد أنها تتجاهله، وبالتالي فهو بهذا التصرف يصبح في بؤرة اهتماماتها وينال قدرا إضافيا وضروريا من رعايتها.

(1) زين العابدين درويش، مرجع سابق، ص ص 344-345 .

العوامل المهيئة للعدوان			
خصال الفرد	خصائص السياق الثقافي - الاجتماعي	خصائص البيئة الطبيعية	خصال وسلوك الطرف الآخر
1- الخصائص الفيزيولوجية	1- التنشئة الأسرية	1- الازدحام	1- القابلية للاستهداف

2- الاحباط	2- التدعيم الاجتماعي للعدوان	2- الضوضاء	2- سلوكه في موقف العدوان
3- التعصب	3- التوزيع غير العادل للدخل	3- الظروف المناخية	3- سلوكه في المواقف السابقة المشابهة
4- التعرض لمشاهد العدوان	4- سياسات وممارسات الأجهزة الحكومية	4- التلوث البيئي	4- خصاله
5- المرحلة العمرية	5- التهميش الاجتماعي		



الشكل (1): تفسير ظاهرة العنف الإرهابي.

(1) الشكل (1): زين العابدين درويش، مرجع سابق، ص 332.

خلاصة الفصل

في ختام هذا الفصل يمكننا القول أن الفرد (أو الجماعة) الذي يرتكب سلوكا إرهابيا يكون معرضا لمجموعة من الظروف المهيئة سواء كانت متصلة به شخصيا مثل الاحباط الناجم عن فشله في أداء مهام معينة، أو عجزه عن بلوغ أهداف يرغبها، وارتفاع مستوى الاستثارة الفسيولوجية لديه، والتعرض لمشاهد عدوانية بشكل مكثف، أو كانت تلك الظروف تتبع من السياق الثقافي، الاجتماعي، كما يتمثل في الحرمان من العائد الاجتماعي للتنمية، وتصاعد حدة الصراعات الاجتماعية، وخصائص البيئة الطبيعية مثل: درجات الحرارة المرتفعة، الضوضاء، الازدحام، التلوث البيئي.

كل تلك الظروف التي ذكرناها في هذا الفصل، تولد مجتمعة قدرا من التوتر لدى الفرد يتناسب مع شدتها، وفي حالة بلوغ هذا التوتر مستوى يفوق طاقة الفرد على الاحتمال فإنه يسعى سعيا حثيثا لتفريغ الشحنة الانفعالية بصورة ما، ومن هنا يبرز دور العوامل المفجرة للإرهاب، حيث يتحول التوتر في ظلها إلى سلوك عدواني موجه نحو الطرف الآخر إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو نحو أي موضوع بديل.

إن الفرد يدرك ما يحدث له على أساس تلك العوامل التي سبق ذكرها في هذا الفصل، فالشخص الذي يدرك انه مظلوم وأفكاره تتحو نحو هذا الاتجاه، والإرهابي الجزائري -مثلا- الذي يعتقد أن المجتمع فاسد ويجب تغييره بشتى الطرق، يستلزم منا ذلك معرفة الظروف التي جعلته متطرفا في تفكيره.

في الأخير نعتقد أن الإرهاب مرتبط إلى حد كبير بأفكار الفرد، وعليه فإننا بحاجة إلى كيفية تغيير هذه الأفكار خاصة إذا كانت أفكارا متطرفة من شأنها أن تشكل خطرا على المجتمعات وعلى البشر.